أهمية البنية الصرفية ودلالتها في القرآن الكريم

أ.م.د خليل محمد سعيد مخلف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ...

فمحاضرتي بعنوان (أهمية البنية الصرفية ودلالتها في القرآن الكريم) ، قال ابن عصفور: (التصريفُ أشرف شطري العربية ، وأغمضهما ، فالذي يبيّن شرفَه ، احتياجُ جميع المشتغلين باللغة العربية في نحويّ ولغويّ إلية ، أيما حاجة ؛ لأنه ميزانُ العربية ، ألا ترى أنه قد يؤخذ جزء كبير من اللغة بالقياس ، ولا يوصل الى ذلك إلا عن طريق التصريف) .

سأتناول بعض الشواهد من القرآن الكريم ، أبين من خلالها أهمية البنية الصرفية ودلالتها وستكون الشواهد متنوعة في موضوعات الصرف :

الاسم والفعل : يقول اللغويون إنّ الاسم يفيد الثبوت والفعل يفيد التجدد والحدوث فإن قلت : (زيدٌ مجتهدٌ) أفاد ثبوت الاجتهاد لزيد ، في حين إن قلت: (يجتهدُ زيدٌ) أفاد حدوث الاجتهاد له بعد ان لم يكن ، وسرُّ ذلك أنّ الفعل مقيد بزمن في حين ان الاسم غير مقيد بزمن من الأزمنة فهو أشمل وأثبت. قال تعالى في وصف المنافقين ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ ﴾ (البقرة: ١٤) فقد فرق بين قولهم للمؤمنين وقولهم لأصحابهم من المنافقين الشياطين – فجاء خطاب المؤمنين بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث (آمنا) وذلك لعدم إيمانهم ونفاقهم ، وخاطبوا جماعتهم بالجملة الاسمية المؤكدة الدالة على الثبوت والدوام (إنّا معكم) وذلك لنفاقهم وإظهار الثابت على معتقدهم الفاسد .

ومنه قوله تعالى ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ ﴾(آل عمران: ٩) والأصل أن يقول (تجمع الناس) لأن يوم القيامة في المستقبل ولكن لأن الأمر متحقق ثابت أخبر عنه باسم الفاعل الدال على الثبوت .

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ﴾ (الذاريات: ٦) أي الحساب ولم يقل (يقع) لأنه ثابت فأخبر عنه باسم الفاعل الدال على الثبوت .

المصادر : قد يكون للفعل الواحد ولا سيما الفعل الثلاثي مصادر متعددة من ذلك على سبيل المثال (مكَثَ مَكْثاً ، ومُكثاً ، ومُكوثاً)، (سقى سَقياً وسِقاية) ... وغير ذلك ويعود تعدد المصادر الى سببين رئيسين هما اختلاف لغات العرب ، واختلاف المعنى وهو سبب مهم في اختلاف المصادر – كـ (الضَر والضُر) فـ (الضَر) بالفتح الضرر في كل شيء و(الضُر) بالضم الضرر في النفس من مرض وهزال ، قال تعالى ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٣) ، وقال ﴿ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ (الرعد: ١٦) فالضُر في الآية الأولى واقع في النفس والضَر في الآية الثانية عام مقابل النفع ففرق بين البناءين لافتراق المعنيين .

وقد اختص القرآن الكريم قسماً من المصادر بمعنى معين كالصوم والصيام فقد اختص كلمة (الصوم) بمعنى (الصمت) قال تعالى ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ (مريم: ٢٦) ولم ترد كلمة الصوم في القرآن إلا في هذا الموطن ، وكأنها لما كانت بمعنى (الصَمْت) جيء بها على وزنه وخصها الله به صَمْت ـــــــ صَوْم

وأما الصيام فقد وردت في تسعة مواطن من القرآن الكريم كلها بمعنى العبادة المعروفة منها قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ (البقرة: ١٨٣)

الجموع : الجموع في اللغة العربية على نوعين : جمع سالم وجمع تكسير ، وجمع التكسير له أوزان كثيرة أكثر من ثلاثين وزناً ، وقد يكون للاسم الواحد عدة جموع.... نحو : كافِر وكُفّار وكَفَرة وكافرين ، وساجِد وسُجَد وسُجُود وساجدين ، وراكِب ورُكّاب ورُكْبان .

فهل دلالات هذه الجموع المختلفة واحدة ، أم تختلف معانيها باختلاف أوزانها ؟ وقد ذكر النحاة والصرفيون أن أسباب الاختلاف تعود الى اختلاف اللغات ، وإلى دلالة الجمع على القلة والكثرة ، أو تعود إلى اختلاف المعاني بأن تكون اللفظة الواحدة مثل (خال) مشتركة بين معنيين (الخال: الشامة ، والخال أخو الأم) فيجمع كل معنى على وزن

- فجمع الخال الذي هو الشامة (الخِيلان)
- وجمع الخال الذي هو أخو الأم (الأخوال)

وفرقوا في ألفاظ قليلة بين جمعين لمفرد واحد مثل جمع (عَبْد عِبَاد وعَبِيد) ، (عِباد الله ، وعَبِيد الناس) وجمع (كافِر) تجمع (كفّار) في جمع الكافر المضاد للإيمان أكثر استعمالاً وتجمع (كَفَرة) من جمع كافر النعمة أكثر استعمالاً .

وقد خص القرآن الكريم قسماً من الجموع في الاستعمال من ذلك على سبيل المثال : خصّ استعمال (الحَمِير) مثلاً أينما وردت بـ (الحُمُر الأهلية) قال تعالى ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ﴾ (النحل: ٨) وقال ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ (لقمان: ١٩) ، وخص استعمال (الحُمُر) بـ (الحُمُر الوحشية) قال تعالى ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ (المدثر: ٥٠ - ٥١)

ومن ذلك أيضاً ما خصه باستعمال (الموتى والأموات والميتين) جمع ميت ، فاستعمل الموتى لمن أصابهم الموت حقيقة وقد وردت (الموتى) سبع عشرة مرة في القرآن الكريم بهذا المعنى ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (البقرة: ٢٦٠) وقوله تعالى ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (القيامة: ٤٠) وغير ذلك ،واستعمل الأموات للموت المعنوي قال تعالى ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ﴾(البقرة: ٢٨) وقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ (النحل: ٢٠ - ٢١) ، واستعمل الميتين لمن لم يمت قال تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾(المؤمنون: ١٥) وقال تعالى﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ (الزمر: ٣٠)

ومن ذلك أيضاً استعماله لفظة (أشهر) على وزن (أفْعُل) لجمع القلة وهو ما كان من الثلاثة الى العشرة واستعماله لفظ (الشهور) على وزن (فُعُول) لجمع الكثرة وهو ما زاد على العشرة فهو من جموع الكثرة قال تعالى ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾(البقرة:

١٩٧) لأن أشهر الحج ثلاثة ، وقال تعالى ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ (البقرة: ٢٣٤) وقال تعالى﴿ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ ﴾ (الطلاق: ٤) ، وقال تعالى ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾ (التوبة: ٣٦) فاستعمل (الأشهر) للقلة و(الشهور) للكثرة لما زاد على العشرة .

<u>جمع الصفات :</u> إنّ الأصل في جمع الصفات أن تجمع جمعاً سالماً ، وقد تجمع جمع تكسير وأشهر أوزان جمع التكسير للصفات

١) فُعّال : بضم الفاء وتشديد العين .
٢) فَعَلة : بفتح الفاء والعين .
٣) فُعّل : بضم الفاء وتشديد العين .

فمثلا انّجمع (فُعّل) يدل على الحركة الظاهرة فضلاً عن دلالة تكثير القيام بالفعل . قال تعالى﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (البقرة: ١٢٥) ، لماذا لم يقل (السُجّد) كما قيل الرُكّع – كما جاء في آية أخرى ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ (الفتح: ٢٩) ، ولماذا جمع ساجِد على السُجُود ولم يجمع راكِع على رُكُوع ؟

فالجواب : أن السجود يتناول السجود الظاهر والباطن ، أما (السجّد) في جمع ساجِد لم يتناول إلا المعنى الظاهر وكذلك الركّع ألا تراه يقول ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ (الفتح: ٢٩) وهذه رؤية العين وهي لا تتعلق إلا بالظاهر .

فقد ورد لفظ (السجّد) في القرآن الكريم في أحد عشر موطناً كلها للدلالة على الحركة الظاهرة : ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ (الفتح: ٢٩) ، ﴿ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾(يوسف: ١٠٠) ، ﴿ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ (الإسراء: ١٠٧) ، ﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا ﴾ (طه: ٧٠) ولم يرد لفظ السُجُود جمع ساجِد الا في موطنين للدلالة على السُجُود الحقيقي والخشوع قال تعالى ﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (البقرة: ١٢٥) ، وقوله ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ

ٱلسُّجُودِ ﴾ (الحج: ٢٦) فالسجود في الآيتين مناسب للتطهير فالخشوع يدلّ على طهارة الباطن وهو مناسب لطهارة البيت .

الجمع على وزن المصدر : قد يؤتى بالجمع على وزن مصدر فعله كالحضور من حَضَرَ ، والقعود من قَعَدَ ، والسجود من سَجَدَ ، والقِيام من قام ، والصِيام من صَام ويكون للدلالة على المعنى الحقيقي للفعل ، وجيء بالجمع على وزن مصدره للإشارة الى هذا الأمر من ذلك على سبيل المثال استعمال (القعود) بمعنى القعود الحقيقي واستعمال (القاعدين) بمعنى القعود عن الجهاد قال تعالى ﴿ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا ﴾ (آل عمران: ١٩١) ، وقال ﴿ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴾ (التوبة: ٤٦) فالقعود في الآية الاولى بمعنى القعود الحقيقي ، و(القاعدين) في الآية الثانية بمعنى القعود عن الجهاد

الجمع على صيغة (فُعَلاء وفِعال) : يطرد فُعَلاء جمعاً لـ(فعِيل) اذا كان وصفاً للذكر العاقل نحو (كرِيم – كُرماء) وما دلّ على سجية مدح أو ذم من فُعال أو فاعِل نحو (شُجاع – شُجعاء ،صالح – صُلحاء) فان كانت صيغة (فعِيل) مضاعفاً أو منقوصاً جمع على (أفعِلاء) نحو(شدِيد – أشِدّاء ، تقِيّ – أتقِياء) فالأشِدّاء – جمع شدِيد من الشِدَة المعنوية ، والشِدَاد جمع شدِيد من الناحية المادية ، قال تعالى في وصف المؤمنين ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾(الفتح: ٢٩) فقابل بين الشدة والرحمة وهما أمران معنويان، وقال تعالى في وصف ملائكة العذاب ﴿ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾ (التحريم: ٦) ويبدو أنهم شداد الأجسام ضخامها، ففي الآية الأولى لفظ (أشدّاء)وهي شدة معنوية وفي الآية الثانية لفظ (شِداد)وهي شدة مادية .

هذه بعض الشواهد المتنوعة والاضاءات التي تبين أهمية البنية الصرفية ودلالتها في القرآن الكريم

أسأل الله العظيم أن ينفع بها وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم وأن يوفقنا لخدمة لغة القرآن الكريم ، إنه نعم المولى ونعم النصير وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين